# مجلة العاصمة

## مجلة بحثية سنوية محكّمة

## المجلد الحادي عشر، ٢٠١٩ م

معامل التأثير العربي: ٢.٢

**ISSN (Print) : 2277-9914** **e-ISSN (Online) : 2321-2756**

**قسم اللغة العربية، كلية الجامعة**
**ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند**

# عودة فلسطين في رواية «عمر يظهر في القدس» لنجيب الكيلاني

**د/ مرتضى الإمام أكييدي**، محاضر، قسم اللغة العربية، كليّة الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

**حامد محمود إبراهيم الهجري**، محاضر، كلية آدم أوغي للتربية، أرغنغ، ولاية كبّ، نيجيريا

**المحور الأول- قضية فلسطين:**



كانت فلسطين تعرف بأرض كنعان، ويرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ قبل ميلاد عيسى (ع)، وإليها هاجر سيدنا إبراهيم (ع)، والد إسماعيل ويعقوب الذي يعتبر الجدّ الأعلى لبني إسرائيل، وهم اليهود([1]). وفي العصر الحديث أصبحت قضية (فلسطين) شائكة متشعّبة تشغل بال العرب والمسلمين وغيرهم، ولا تكاد أمة تجري في عروقها دماء الإنسانية إلا وتتألم للمأساة التي تعانيها فلسطين وما جاورها، من تمزّق فكريّ وسياسي، ومن تشرد ذهني ومصيري. لقد كانت المذاهب الفلسفية والأفكار الغربية ترفرف في آفاقها، وكانت اليهودية والصهيونية تتخذها دارا مقيمة وحقا مغصوبا وأصبح الصراع داميا بين المجتمع اليهودي والمجتمع الإسلامي، وأخبار الفدائيين وأطفال الأحجار تدقّ الآذان وتحيي النخوة، وقلّما تجد كاتبا إسلاميا أو شاعرا مسلما لم يتطرق لقضية فلسطين.

ولقد أسهم الكاتب المصري نجيب الكيلاني كغيره من المثقفين في هذه القضية إسهاما فريدا، وخاض غمار موضوعها بشجاعة فائقة، إذ ابتكر أسلوبا فنّيا شائقا في عرض الموضوع في براعة وبلاغة، واستوحى من التاريخ الإسلامي شخصية فذّة، هي شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ر) ثاني خلفاء رسول الله (ص)، ولا يخفى على أحد سبب اختيار هذا الخليفة العدل، لأن القدس تحررت من الاحتلال الروماني على يديه، وهي من المدن التي شدّ إليها الرحال خارج الجزيرة العربية ليقدم عهد الأمان للنصارى الساكنين فيها، مع إبراز سماحة الإسلام ومنهجه في التعامل مع خصومه بعدالة وكرامة. وإذا درسنا رواية "عمر يظهر في القدس" التي استدعى فيها الكيلاني (عمر بن الخطاب)، نستطيع أن نلمس سرّ الهزيمة ودواعي السقوط، ثمّ نلتمس طريق النصر وكيفية النهوض. إذ لا نعتقد أن غير هذه الشخصية الإسلامية الكاملة يمكن أن تكشف عن أسرار الهزيمة في القدس وطريق النصر فيها.

**المحور الثاني: خلاصة رواية "عمر يظهر في القدس"**

بدأت الرواية برجل فلسطيني من الفدائيين يحاور أمّه عن النكسة الكبرى التي تعاني منها بلاده، وعن القيم والمبادئ التي تكاد تذوب في القلوب، وعن الآمال التي تتداعى والطموحات التي تنقضّ جدرانها، ثمّ يترك الأمّ ويخرج من البيت وفجأة ينزل إلى هذا العالم بما فيه من ضجيج وفوضى . (عمر بن الخطاب) وكأنه هبط من السماء أو مدّته الأرض. وتبدأ رحلته مع أمير المؤمنين في شوارع المدينة، قاصدا زيارة بيت المقدس، وفيه يشهد

[1] . محمّد سعيد مرسي تاريخ اليهود، تاريخ اليهود، طنطا . مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٠١، ص : ٤٥.

ما يعاني منه المسلمون، من فساد أخلاق اليهود من جانب، وانحراف المسلمين أنفسهم من جانب آخر، والعمليات الفدائية التي تجاهد بها البقيّة الباقية من أصحاب النخوة الصامدة من الأمة.

دخل الخليفة إحدى مستشفيات المدينة للعلاج، وانتشرت أخباره في أنحاء المدينة، بل وصلت إلى الدول المجاورة، وشملت أقطار المسلمين وهم بين منكر ومؤيّد لهذه البعثة العجيبة، حتى أدرك اليهود خطورة الموقف لما عظم أمره، وظهر لهم خطره فحبس الخليفة في المستشفى وأصبح محطة الزيارة وأسلمت على يديه يهودية كان لها أثر عظيم في نفوس الناس ولما أراد اليهود القبض على الخليفة والقضاء عليه هرب به أتباعه ثمّ اختفى فجأة مثلما هبط عليهم.

**المحور الثالث: الكاتب وعودة فلسطين**

لعلّ الكلام عن سرّ الهزيمة والطريق المؤدي إلى النصر على اليهود يدعونا إلى أن نتصفّح فصولها لنسمع ما يدور بين الخليفة وصاحبه وبينه ومن عاشره تعليقا على أمر المسلمين لبيان سبب السقوط وسبيل القيام. إنّ أول الأسباب التي أشار إليها الخليفة والتي تؤخّرنا عن نيل النجاح، هو السكوت عن الحقّ خوفا من أصحاب الباطل، واعتبار الاختلاط بين الجنسين ظاهرة حضارية جديدة لابدّ من التغاضي عنها، لذلك نرى الخليفة لما رأى تحت شجرة في الشارع فتى وفتاة يتعانقان، و"يهيمان في دنيا حلم رقراق جميل أمامهما زجاجة بها سائل قاتم اللون اتسعت عيناه دهشة وهتف : ما هذا الذي يحدث على قارعة الطريق ؟.

ويجيبه صاحبه الفلسطيني : طقوس الحبّ يا أمير المؤمنين.

وزمجر مهتاجا: لا يصحّ أن يجلس زوج وزوجة هكذا أمام الناس.

إنهما صديقان .. هذا (إيلي) وصديقته .. إنني أعرفهما.

وهدر : ماذا تعني ؟؟ بأي حقّ ترتكب هذه الدعارة ؟

لا شأن لنا بهما يا أمير المؤمنين.

اصمت يا رجل الساكت عن الحقّ شيطان أخرس هذا انحطاط لا مثيل له يجب أن يساقا إلى حيث ينالان الجزاء العادل"([1]).

هكذا اندفع عمر لمنع هؤلاء من اللهو والفجور أمام الناس ولكنهما يستهزئان به بل اتهماه بتهمة الاعتداء على حرية الغير لولا أن الله نجاه منهما كما ينجي الصادقين. ولما أدرك صاحب الخليفة استغرابه من هذه الظاهرة المحرمة، بدأ يصف له المدينة وما حلّ بها من الفساد والدمار، وقال: "أبطلت الحدود والخمر تباع في كل مكان، الحكام يشربونها في الحفلات العامة وفي بيوتهم يتساقونها علانية وكأنهم يتساقون أقداحا من القهوة. وبيوت الدعارة تأخذ تراخيص من الحكومة ويحميها القانون لقد أصبح للفساد قوانين تنظّمه وترعاه"([2]). هذه هي حالة المسلمين اليوم، وهذا سر من أسرار الهزيمة التي أراد الكيلاني أن يبحث لنا بدلا منها عن طريق النصر الذي جاء على لسان الخليفة، لذلك يقول عمر بعد الذي رآه والعجائب التي استمع إليها "الآن عرفت سبب انتصار اليهود عليكم ونشرهم الفجور بين ظهرانيكم، الخوف يلد الرذيلة والهزيمة تمسخ ضعفاء الإيمان، أنتم جياع برغم رصيدكم الضخم من الزاد تدقون الأبواب الصلدة في بله ولو بحثتم عن المفاتيح لتفتح أمامكم باب النعيم الأبدي ... كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول([3])

---

[1] . نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، لبنان ـ بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٩٨٤، ص : ٢٠.

[2] . المصدر نفسه . ص : ٢٣.

[3] المصدر نفسه، والصفحة:٢٥

ومن يتعود التقاط الفتات من موائد الأغنياء تسحره كلماتهم وفكرهم وسلوكهم ويحاول أن يقلّدهم وفي التقليد الأعمى فناء العقل والروح هكذا يتحول السادة إلى عبيد وإذا أردت أن تعرف كيف يصبح العبيد سادة فتذكر قصة أخي بلال بن رباح"([1]).

ويدخل الخليفة المسجد فرأى ما أعجبه كثيرا وفرح به لكنّه لاحظ أن بعض الأمة تتخطى فيه المصلين بغرض الجلوس في المقدمة كما أخذ على الخطيب مبالغة اهتمامه بتزويق الكلمات ورصف العبارات وعدم انفعال المستمعين لما يقول كأنهم خشب مسندة. وكما لاحظ أيضا سرعة خروج المصلين عقب صلاتهم والفرار من المسجد حيث يقول: "لكأنما يفرون من وباء أخشى أن تكون صلاتكم مجرّد حركات ميتة لا روح فيها أين الخشوع والقلوب المعلّقة بالله؟؟ الوعاء خال من أي شراب، الشكل وحده هو ما تهتمّون به، عبادتكم بلا جوهر أخشى أن يكون الأمر كذلك"([2]).

لقد أراد عمر أن يصف لنا سرّ النصر الإسلامي على أيامه، وهو يتكلم مع الضابط اليهودي لما قبض عليه قال: كنّا دعاة قبل أن نكون محاربين حملنا إليهم يعني الكفار من الفرس والروم وغيرهما. نور الله أسعد لحظاتنا كانت يوم أن يأتي رجل يعلن إيمانه، كنا بذلك أكثر فرحة من فرحنا بالاستيلاء على حصن أو هزيمة جيش ... كانت بغيتنا أن نثبت اليقين في القلوب قبل أن نثبت أقدامنا على الأرض المفتوحة أصبح الذين آمنوا جزءا من جيشنا وعندما قال الإسرائيلي له: نحن حملة حضارة مثلكم، يجيب: نحن حملة عقيدة أولا.. وفي ظل العقيدة الخالصة الصادقة .. تنبت القيم الفاضلة وتولد الحضارات ويسعد البشر([3]).

إن الاتحاد الإسلامي والتعاون بين المسلمين أساس النجاح ذلك ما أكّده (عمر بن الخطاب) وهو يشرح لصاحبه حال إخوانه السجناء لما غمره الفرح بعد الإفراج عنه من السجن، لقد أدرك أنه في حزن شديد على الرغم من هذا الإفراج: "تركنا في ظلام السجن وراءنا عديدا من الأبرياء، مال أحدهم عليّ هامسا، سأعطيك عنوان أختي المسكينة التي استشهد زوجها معنا هنا، كي تعطيها بعض المال، فلم لا أحزن، كم امرأة وكم طفلا، وكم شيخا الآن يقاسون الحرمان والجوع"؟([4]). هكذا ينبغي أن يكون الفرد المسلم، في نظر الكيلاني، تجاه أخيه يشاركه في همومه وأحزانه وهكذا ينبغي أن تكون الدولة الإسلامية تجاه أختها تمدّها بكل ما لديها من قوة ومعونة ومضافرة لتخرجها من ضياع هوية وفتنة مصير وصعوبة موقف.

أما علماء الإسلام اليوم، فقد كشف الكيلاني عن بعضهم الغطاء وعرّى المنافقين منهم في توجّهاتهم الخبيثة وبخاصة الذين يرتمون تحت أقدام الحكومة أو- كما يسمّونهم- العلماء المسلمين الرسميين ويمكن إدراك هذه الحقيقة لما تضرع صاحب الخليفة إلى أحدهم ليسعى في إنقاذ الخليفة من تهم اليهود ومكائدهم إذ أبى واستكبر وأنكر ظهور الخليفة وطرد صاحبه من بيته خائبا، لكنّه يصدمه بالحقيقة حين يقول: "تتخلّفون دائما تركبون ذيل الموكب وتلبسون أي شعار جديد ثيابا مهلهلة تسمونها الدين وتجيدون التأويل الكاذب لتجتلبوا رضا الحكام في ذيل الموكب دائما ... لكن العامة في الشوارع سيبتهجون .. سيتلقفون الحقيقة ويتشربون رحيقها دون

---

[1] . المصدر نفسه . والصفحة عينها

[2] . المصدر السابق، ص : ٣٤.

[3] . المصدر السابق . ص : ٦٦.

[4] . المصدر نفسه . ص : ٧٢ .

حذلقة ولن يهابوا الموت. إن ظهور (عمر) خطر على إسرائيل ولكنه أشدّ خطرا على دنياكم المليئة بالكذب والخوف والنفاق، ولهذا تكرهون ظهوره"([1]).

هم فئة من العلماء الذين نعتمد عليهم في أمور ديننا ودنيانا أو هم علماء دولتنا - إن صحّ التعبير - لأنهم لسانها وأدواتها يساندونها بتأويلاتهم ويبحثون لكل هفواتها في الدين مخرجا. ولما قبض على أتباع الخليفة بما فيهم صاحبه ذكر ما وجب على المسلمين القيام به للخلاص من أعدائهم وهو الجهاد في سبيل الله بعد ما بيّن أن اليهود هم كذلك منذ قديم الزمان إذا مكّن لهم الله في الأرض عاثوا فيها فسادا وأهدروا قيم الآخرين وحرياتهم لقد شرع الله الجهاد للمسلمين حماية لأنفسهم وحفاظا على عقيدتهم فقال تعالى :{قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}([2]) ولولا الجهاد في سبيل الله لما عرف الإسلام في جميع بقاع الأرض وبفضله انتشر نور الله في الأصقاع البعيدة وأسلم القاصي والداني.

وما دام أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أوله دعا الخليفة . كما جاء في هذه الرواية . إلى الجهاد قائلا: "فليتحرّك المسلمون في شتى أنحاء الأرض، وأجابه الدكتور عبد الوهاب الطبيب الذي يعالجه: دون ذلك أهوال وصعاب. وأخذ عمر يتمتم ببضع كلمات من القرآن :{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}([3]) صدق الله العظيم ثمّ التفت إلى الطبيب قائلا : الجهاد فرض!"([4]) وعلى الرغم من اعتراض الطبيب على رأي الخليفة فإنّه كان يدرك أن الجهاد هو السبيل إلى النجاح وهو الطريق إلى النصر والخلاص من مكائد الأعداء في شتى المعمورة. هذا ما سعى الكيلاني إلى توضيحه في هذه الرواية ليكشف لنا خبائث اليهود وقسوتهم وحملاتهم المغرضة ضد الإسلام وسعيهم إلى تمريغ الكرامات وإهدار القيم ثمّ يبحث لنا أسباب النصر التي تتلخص في التمسّك بعقيدتنا والموت دونها والتخلّق بأخلاق نبيّنا وصحابته ومثّل بالخليفة عمر بن الخطاب ثم التعاون الجماعي بين الأفراد أولا ثم الدول ثانيا لمكافحة مكائد الأعداء في كل مكان.

**المحور الرابع: الخاتمة**

نلاحظ في الختام أن نجيب الكيلاني يمتاز بحماسة دينية جياشة تملئ عليه بأفكار إسلامية تجبره على نشرها للقراء لعلهم يفيقون من غفوة الحضارة الجارفة التي تمر عليهم بكرة وأصيلا، وهذه الرواية الشيقة من رواياته الإسلامية الرائعة، والتي تثبت بجدارة عالمية الأدب الإسلامي وصلاحيته لقيادة الإنسانية إلى برّ الأمان والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، وهذه الشخصية التاريخية الكبيرة والتي تتجلى في شخصية ثاني خلفاء الأمة الإسلامية، ما كان للكيلاني أن يجعلها مصدرا لوحيه الأدبي لولا أنها شخصية فذة قادت العالم وبخاصة في فلسطين بالذات إلى العلاج الذريع لمسألة العنصرية والعصبية والرفع بلواء الإسلام إلى الآفاق عالية خفاقة، لنرى أن فلسطين دولة إسلامية تشكو إلى الأمة الإسلامية أن تأخذ بيدها وتنقذها من ويلات بني إسرائيل وثبور

---

[1] . المصدر السابق . ص : ١٣٦.

[2] . سورة التوبة، الآية : ٢٩.

[3] . سورة البقرة، الآية : ٢١٦.

[4] . نجيب الكيلاني، عمر يظهر في القدس، المصدر السابق . ص : ١٥٦ .

أمريكا، ولا سبيل إلى هذه النجدة إلا بالرجوع إلى منبعنا الأصيل الصافي ونستقي منه الهداية للنهضة الإسلامية المستقبلة. ونسأل الله النجاة والسلام لإخواننا في فلسطين وغيرها من المدن الإسلامية المضطهدة.

وكانت نتيجة الدراسة هي:

1. أنّ التمثّل بالقيم والمبادئ الإسلامية سبب انتصار الأمة الإسلامية على أعدائهم كما سبب ذلك للخليفة عمر بن الخطاب في هذه الرواية.
2. وأنه ينبغي أن يكون بين الناس التضامن الإسلامي، وبه يشعر المسلم بما يشعر به أخوه من رخاوة وطلاوة.
3. وأن الجهاد في سبيل الله تعالى سنة الله في الأرض ومنهج النبي ﷺ وبه شذا نور الدين الإسلامي في ربوع العالم وبالتالي لا يليق بالمسلم الصدوق التثاقل عنه.
4. وأن السكوت عن الحق مما يورث الهلاك والهزيمة على القوم.
5. وأن اختلاط الجنسين مناف للشريعة الرحمانية.
6. وأن كل مسلم قوي إيمانا واعتقادا لا يعصي مولاه تعالى وإلا فيصير عبدا مملوكا لأن المعصية تحطّ بالإيمان وأن العبد قد يصير حرا مطلقا إذا أخلص الإيمان لله وما عهدنا ببلال بن رباح ببعيد.
7. وأنّ الاستعجال في الصلاة وفي خروج من الساجد واشتغال الروح والنفس معا في زخارف الدنيا في الصلاة مما يورث الهزيمة على الإنسان.

وتوصي هذه الدراسة إلى كثرة مثل هذا العمل ومثل هذه الرواية الواقعية الحقيقية التي تجعل العلاقة بين العبد وربه متينة وتقوم بنقد وتصحيح أغلاط المجتمع الإسلامي.

**قائمة المصادروالمراجع**


١- سلامة، عبد الباسط. الرواية التاريخية عند نجيب الكيلاني، رسالة الماجستير، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم الأدب والنقد، مرقونة بمكتبة الكلية، ٢٠٠٤ .

٢- القاعود، حلمي محمد. الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، القاهرة، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣.

٣- الكيلاني، الدكتورنجيب. عمر يظهر في القدس، لبنان .بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٩٨٤ .

٤- المملكة العربية السعودية، الموسوعة العربية العالمية، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط / ٢ ١٩٩٩.

٥- الكيلاني، الدكتور نجيب. مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، الجزء الأول، كتاب المختار، ٢٠٠٦م.

٦- مرسي، محمد سعيد. تاريخ اليهود، طنطا .مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٠١ .

٧- الهجري، حامد محمود إبراهيم. الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية العظمى، ٢٠٠٧م.